مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

الدراسات الكولونيالية ودورها في التّأريخ للرّواية العربية المعاصرة

الباحثة :أحلام الواج
جامعة يحيى فارس بالمدية

- ملخص باللغة العربية:

شقّت الرّواية العربية المعاصرة مسارا جديدا غير الّذي عرفت به الأنواع الّتي سبقتها، وهذا راجع إلى وعي كتابها وتعدّد مرجعياتهم الفكرية والجمالية، حيث سلّطت الضوء على الواقع المعيش، وتحدّثت عن المهمّشين في المجتمع، وحاولت تقديم صورة تكاد تتطابق مع الواقع، كما قامت برصد الصّراعات القائمة بين الهويات الثّقافية في العالم المعاصر، هذا ما نتج عنه ظهور فضاءات متعدّدة تحمل قيما وتصورات ومواقف مختلفة، وقد كان للمحدّد النّقدي الأوروبي -في التأريخ للرواية العربية وسياقات ظهورها ونموها وتطورها وما يحمله من أنساق فكرية- الدّور الكبير في تكريس مفاهيم وحقائق معينة في الثّقافة العربية، ولم تتمكّن من التّخلص من هيمنته بل خضعت له وروّجت أفكاره وتبنّتها لذلك ينبغي إعادة النّظر في المقاربات النّقدية الّتي ترى بأنّ الرّواية العربية تحمل جذورا أوروبية.

Résumé :

Le roman arabe contemporain a pris une nouvelle voie inconnue des précédents: grâce à la prise de conscience de son narrateurs et à la multiplicité de ses références intellectuelles et culturelles, cependent il a mis en lumière la réalité du vivant et de la société marginalisée et tenté de présenter une image presque identique à la réalité. Les conflits entre identités culturelles et identitaires ont entraîné l'émergence de multiples visions aux

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

valeurs, perceptions et attitudes différentes.

Le critère européen et ses schémas intellectuels ont joué un rôle majeur dans la perpétuation de certains concepts et faits de la culture arabe.Il n'a pas été en mesure de se débarrasser de son hégémonie, mais il a subi, propagé et adopté ses idées. Par conséquent, on doit réconsédérer des approches critiques qui comparent le roman arabe a des racines européennes.

تمهيد:

تضافرت العديد من الجهود والعوامل من أجل نشأة الرّواية العربية المعاصرة وتطوّرها ومنحها خصوصياتها الفنية والأسلوبية، والّتي أصبحت تسير على عاتقها جل الرّوايات العربية المعاصرة فيما بعد، وباعتبار الرّواية جنسا منفتحا على غيره من الأنواع الأدبية الأخرى فإنّ لها القدرة على استيعاب مختلف الأنواع الأدبية وغير الأدبية ، وما تحمله من خصوصيات فنية، ويمكن القول أنّه من خلال المزج بين تلك الخصوصيات الفنية تشكّلت خصوصيات هذا النّوع الأدبي الجديد، وعليه فإنّ الرّواية العربية هي الثّمرة الّتي نتجت عن تفكك وانهيار الأنواع الأدبية الّتي سبقتها.

تعدّدت آراء النقاد والباحثين حول العوامل الرّئيسية الّتي ساهمت في نشأة الرّواية العربية المعاصرة، فعبد الله إبراهيم يرى أنّها نشأت نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل والمؤثّرات والّتي منحتها سمات جديدة، فالتّفاعل القائم بين الموروث السّردي العربي والاطّلاع على الآداب الأوروبية دفع بالأدباء العرب إلى الانصراف عن الأنواع الأدبية التّقليدية، وهذا من أجل مواكبة تحوّلات العصر، ورغبة منهم في ابتكار كتابة جديدة تختلف عن الكتابة التّقليدية الّتي أصبحت مبتذلة ولا تلبي حاجيات المجتمع، فالآداب الجديدة ما هي إلاّ امتداد

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

للآداب القديمة وتطوير لها، ذلك أنّ كل نوع أدبي يقوم على عاتق الأنواع الأدبية الّتي سبقته، فالأديب لا يبدع من فراغ بل لا بدّ أن تكون خلفيته الفكرية والثّقافية واسعة حتى يتمكن من إخراج عمله الأدبي في قالب فني متميّز.

أولا: الرواية العربية المعاصرة من منظور المحدد النقدي الأوروبي

تعود البدايات الفعلية للرّواية العربية المعاصرة إلى القرن التّاسع عشر هذا حسب ما أشار إليه عبد الله إبراهيم، وقام بتفنيد الفكرة القائلة بأنّ رواية زينب هي أول رواية عربية، ذلك أنّه توجد العديد من الرّوايات الّتي سبقت رواية زينب في الظهور نذكر من بينها رواية "وي. إذن لست بإفرنجي" للكاتب اللبناني خليل الخوري (1836-1910) الصادرة عام 1859م، و«**ليست ثمة موضوع التبست حوله الآراء وتضاربت مثلما حصل في موضوع أصول السردية العربية الحديثة؛ و ذلك يعود إلى تغليب مرجعية مؤثرة على أخرى، أو اختزال ظروف النشأة إلى سبب دون آخر، فضلا عن الميل الواضح إلى اعتماد مبدأ المقايسة بينها والسرديات الغربية الحديثة**»[1]. فالتّأثير الأوروبي كان له الدّور الكبير في نشأة الرّواية العربية، والامتثال للفكرة القائلة بأنّ الرّواية العربية تحمل جذورا أوروبية ساهمت في نفي الأعمال الأدبية والرّوائية على وجه الخصوص الّتي ظهرت من قبل، باعتبار أنّ العرب

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري و إعادة تفسير النشأة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2013، ص337

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

لم يعرفوا الرّواية قبل احتكاكهم بالأوروبيين، وأصبحت هذه الفكرة تشتغل بطريقة ضمنية جعلت الفكر النقدي العربي يؤمن بهذه المسلمة ويدافع عنها، و«**لا يمكن عد الرواية تطويرا للمرويات السردية، أو استثمار لانهيارها في القرن التاسع عشر، إنما هي غربية بصورة كاملة؛ لأنّ العقلية العربية لا يمكن لها أن تكتشف فنّا جديدا مركبا مثل الرواية** »[1]. فتلك الفكرة قضت على الإبداع العربي وعلى الفكر العربي على وجه الخصوص، فبما أنّ الرواية نوع أوروبي أصيل فإنّ الفكر العربي قاصر ولا يمكنه الإبداع والكتابة دون أن يرجع إلى الكتابات الأوروبية باعتبارها اللّبنة الأساسية الّتي شكلت هذا النّوع الأدبي الجديد(الرّواية)، ذلك أنّ«**شكل الرواية مستحدث لم يعرف في تاريخ الأدب العربي وإنه غربي دخل إلى الأدب العربي، كما دخل كثير من المعطيات في الثقافة العربية، وليس ثمة ضير في استعماله، فالأشكال لا هويات لها، وتتعدّد تبعا لتعدد الحواضن الثقافية**»[2]. فالشّكل الّذي تعرف به الرّواية اليوم دخيل على السّاحة الأدبية العربية، ودخل الثّقافة العربية بفعل الاحتكاك بالأوروبيين والانبهار بآدابهم والتأثّر بها. إذ أصبح« **المفكر العربي كلما فكر فكر بمفاهيم غربية لكي يتمثل ذاته لا مناص له من تمثل الغرب و بالتالي من تحديد ماهيته**»[3]. حيث أصبحت الثّقافة الأوروبية تغوص في

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص190

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص217.

[3] عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة،المركزالثقافي العربي،ط1،1995، ص184.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

أعماق الفكر العربي وأصبح لها الدّور الكبير في تحديد ماهية الأشخاص وتوجهاتهم الفكرية، ومنهم من يرى أنّ«**الأدب الروائي العربي اعتمد منذ نشأته على الأدب الأوروبي، وهم يرون أنّ العرب برعوا في الشعر ولم يكن لهم نصيب في الفنون النثرية، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على ضعف النتاج الأدبي المعتمد على التراث، فكل ما وصل من قصص التراث لا قيمة فنية مؤثرة له**»[1]. حيث عُرف العرب منذ القديم بالشّعر وأبدعوا فيه أكثر من الأنواع الأدبية الأخرى، وبقيت الآداب العربية على تلك الحالة فترة طويلة من الزمن، لكن بعد الاحتكاك بالأوروبيين نهض العرب من سباتهم وحاولوا اللّحاق بركب الثّقافة الأوروبية فـ«**الثقافة العربية لم تتعرف على الرواية بوصفها جنسا أدبيا إلا بفضل ذلك الاحتكاك الذي حدث في أواخر القرن التاسع عشر مع الثقافة الغربية، وأنّ النص الذي يمثل بداية الوعي الحقيقي بالرواية في العالم العربي هو رواية زينب لهيكل**»[2]. لقد تمّ اعتبار رواية" زينب" 1914م أول رواية عربية ذلك أنّها وافقت الخصوصيات الفنية للرّواية الأوروبية والّتي تمّ بموجبها إقصاء كل الأعمال الأدبية الّتي سبقتها في الظهور، وهذه الفكرة قام المحدّد النّقدي الأوروبي بترسيخها في السّاحة الأدبية والنّقدية على السواء وهي الفكرة الّتي نجدها حاضرة عند عبد الله إبراهيم الّذي رأى أنّ الموجه النّقدي الغربي قد لعب دورا حاسما في الحكم على ريادة

[1] حسن علي المخلف، التراث والسرد، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط1، 2010 ، ص34

[2] إدريس الخضراوي، الرواية العربية الحديثة، نحو رؤية جديدة لنشأة الرواية، مجلة الراوي، ص127

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

هذه الرّواية للفن الرّوائي العربي، «**إنّ الحضارة الغربية مازالت تمثل لنا امتحانا عسيرا، وهو الذي يمثل أهم الأسئلة المثارة اليوم في المغرب العربي كله**»[1]. فالثّقافة الأوروبية تدين للأدب العربي بالكثير ذلك أنّها ساهمت في تحريره من قيود الركود والضياع وجعلته يلحق بركب الثّقافة العالمية من خلال الإبداع في مجال الرّواية فهي نشرت الوعي لدى الفرد العربي وأيقظته من سباته «**وعلى أية حال، فإنّه لا يمكن أن نسجل خصوصية عربية خالصة للرواية العربية قبل الحرب العالمية الثانية، لأنّ الفترة كانت تمتاز بشكلين من أشكال الرواية أولهما شكل الرواية السيرية... والشكل الآخر هو شكل الرواية التاريخية، وهو أيضا شكل غربي تميز به "وولترسكوت"أبو الرواية التاريخية**»[2]. فكل الأنواع الأدبية أوروبية الأصل ودخلت إلى الثّقافة العربية بفعل الاحتكاك والانبهار بثقافة الآخر باعتبارها المثل الأعلى الّذي ينبغي السير وفقه، وقد«**ظهرت الرواية بوصفها أكثر نظم التمثيل اللغوية قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرويات الواقعية والثقافية وإدراجها في السياقات النصية، ومن حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخيلة توهم المتلقي بأنها نظيرة العوالم الحقيقية، ولكنها تقوم دائما بتمزيقها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية، دون أن تتخلى، في الوقت نفسه، عن وظيفتها التمثيلية**»[3]. حيث ساهمت الرّواية في تمثيل

[1] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية في نهاية القرن العشرين، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999، ص86.

[2] حسين مناصرة، مقاربة الرواية قراءات في نقد النقد، ص 11.

[3] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص386.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

العالم بصورة تكاد تكون مطابقة للواقع وذلك من خلال خلق عوالم متخيلة تصف الواقع أكثر وتعبر عن قضايا واقعية، فالرّواية تقوم بتشويه العوالم وتعيد صياغتها بطريقة فنية تلفت انتباه القارئ وتدفعه إلى الغوص في متنها من أجل إدراك المعنى الحقيقي الّذي يسعى الكاتب إيصاله له. وما الرّواية العربية المعاصرة «**إلا تمثيل لجدل التفاعل مع النص والواقع الذاتي والعصر، وأنها أخيرا تعبير عن جدل الإبداع الروائي في تفاعله مع التاريخ والواقع**»[1]. فهي تعبّر عن الصّراع بين ما هو تاريخي وما هو واقعي لذلك يسعى الرّوائي دائما إلى التّعبير عن الواقع وربطه بالعنصر التّاريخي، وهذا من أجل جعل الأحداث أكثر فنية وأكثر واقعية، تجسد الواقع وتعبر عنه«**وتكمن أهمية المحاولات التأسيسية للسرد العربي الحديث في قدرته على تطويع اللغة وترويضها وتكييفها مع لغة الحياة والتي تمور بالتنوع و التعدد التجدد. كما ساهمت وبالتالي في تأسيس تقليد فني جديد ظل مجهولا لدى القارئ العربي**»[2]. لقد استطاع الرّوائي المعاصر التّحكّم في اللّغة وتكييفها مع متطلبات الحياة وذلك من خلال استخدام لغة الحياة الّتي تتميز بالتنوع والتّعدّد، لأنّ العمل الروائي في نهاية المطاف موجّه إلى كل فئات المجتمع، فهي ليست موجهة إلى الطبقة المثقفة دون غيرها لذلك يلجأ الرّوائي إلى جعل اللّغة تتماشى ولغة الحياة، وأصبحت هذه الخاصية تقنية جديدة من تقنيات السّرد الروائي، فالتّعدّد اللّغوي من أبرز تقنيات الرّواية العربية المعاصرة، لقد «**وضعت**

[1] حسين مناصرة، مقاربة الرواية قراءات في نقد النقد، ص125.

[2] عبد المجيد الحسيب، الرواية العربية الجديدة وإشكالية اللغة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 23.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

رواية "وي. إذن لست بإفرنجي" السنن الأولى للسرد الحديث الذي تداخلت فيه مسارات الحكاية بتعليق المؤلف، ثم العناية البالغة بالحركة والتنقل والأفكار، ورافق ذلك ضآلة الاهتمام بالبعد الإنساني الواقعي للشخصيات، وخضوع بعض العلاقات المنطقية بين الوقائع»[1]. فبعد أن أجمع العديد من النقاد والباحثين المتخصصين في مجال الرّواية على أنّ رواية زينب هي أول رواية عربية، ظهرت العديد من الجهود النّقدية الّتي تبرّر تأثّر الرّواية العربية بالمرويات السردية التّراثية، وتمّ الاهتمام بكيفية سرد الأحداث وتنظيم الأفكار، ومن هنا قلّ الاهتمام بالبعد الإنساني الواقعي للشّخصيات« **يرى الغيطاني أنّ الرواية العربية اشتقت من مصادر غير مباشرة هي السير الشعبية التي يصطلح عليها "بالملاحم" و لذلك فالرواية تطور طليعي للمرويات السيرية الشائعة في الأدب العربي، و هي تدرج متواصل، أخذ شكله الحالي بعد أن مرّ بمراحل كثيرة»**[2]. فالرّواية حسب الغيطاني ما هي إلاّ تطوّر للمرويات السيرية الّتي شهدها الأدب العربي، واتّخذت شكلها النّهائي بعد أن مرّت بالعديد من المراحل وخضعت إلى جملة من التّطورات والتّحولات حتى تمكنت من إثبات شرعيتها في السّاحة الأدبية العربية، وفي صدد الحديث عن نشأة الرّواية العربية ومرجعياتها الفكرية و الثقافية وجذورها الحقيقية تشير يمنى العيد إلى أنّ الرّواية العربية قامت بمحاكاة الرواية الأوروبية في نشأتها «و

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص228.

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص209.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

كانت عقود الأربعينات و الخمسينات مرحلة نضج و تجذر لهذا الفن في أدبنا العربي الذي أرسى جملة من التقاليد الروائية»[1]. فالاتصال بالأوروبيين والاحتكاك بهم شكّل نقطة الانطلاق ليقظة الآداب العربية بعد الركود الّذي شهدته لسنوات طويلة، فكان ذلك الاتصال بداية الوعي بوجود نوع أدبي جديد ألا وهو الرّواية، فالآداب الأوروبية هي الّتي أصّلت لهذا النّوع الأدبي في السّاحة الأدبية العربية، وساهمت في نضج آدابنا وجعلتها تساير الآداب العالمية، كما «**إنّ رواج الرواية كشكل تعبيري، يعود جزئيا فقط إلى تقليد الأجانب، إذ يمكن ربطها بتهافت ذات سائدة متحررة على عبارة تمتاز بقدر لا محدود من العفوية و الاسترسال. لهذا السبب عرفت الرواية العربية في بدايتها، كما هو الأمر في بداية كل أدب قومي، أسلوبا واحدا، هو السيرة الذاتية**»[2]. فمحاكاة الآداب الأوروبية هو الّذي جعل الرّواية العربية تنتشر على نطاق واسع، فالبدايات الأولى للرواية العربية كانت عبارة عن سيرة ذاتية، ومنه يمكننا الذهاب إلى «**القول بأنّ الرواية العربية مستعارة بكاملها من الأدب الغربي زعم لا يمكن البرهنة عليه من ناحية تاريخية أو نقدية**»[3]. فالخضوع للفكرة الّتي تؤكد أنّ الرّواية العربية تحمل جذورا أوروبية زعم لا يمكن التسليم به- حسب عبد الله إبراهيم- ذلك أنّ بدايات الرّواية العربية تسبق ظهور رواية "زينب"، ويمكن الإشارة إلى أنّ التّحولات الّتي طرأت على فن المقامة ساهمت في تشكيل الخصوصيات الفنية للرّواية العربية.

[1] يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، دارالفرابي، بيروت، ط1، 2011، ص129.
[2] عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ص222.
[3] عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، ص112.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

كما إنّ تفكّك المرويات السّردية التّقليدية ساهم في إثراء الآداب الجديدة ومنحها التقنيات والأساليب المناسبة، وبالرغم من أنّ الثّقافة العربية شهدت العديد من الأنواع النّثرية التّراثية، إلاّ أنّها لم تتّخذ شرعيتها في السّاحة الأدبية العربية إلاّ بعد الاحتكاك بالأوروبيين، كما إنّ«**تراكم المسلمات الثقافية التي أشاعها الخطاب الاستعماري اختزل الوعي الخاص بتاريخ الأدب السردي العربي الحديث، وسطّحه، وربطه مباشرة بمؤثر غربي لم يكن له وجود طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر، فحينما بدأ ظهوره المتردد في النصف الثاني من ذلك القرن كانت الملامح العامة للرواية قد تبلورت**»[1]. فالقول بأنّ الرّواية العربية تحمل جذورا أوروبية نفى الأدب السّردي العربي وأهمله، وربط الأعمال السّردية اللاحقة بمرجعيات أوروبية باعتبار أنّ العرب لم تكن لهم محاولات سردية سابقا وطوال تاريخهم الثّقافي، حيث«**لا تنكشف تحيزات الخطاب الاستعماري بدون نظرة ثقافية نقدية تتحرر من النمطية ليس في منهج البحث، وإنما من فرضيات ذلك الخطاب الاستعماري بدون نظرة ثقافية نقدية تتحرر من النمطية ليس في منهج البحث، إنّما من فرضيات ذلك الخطاب، ومقولاته، ونتائجه، ومع أنّ هذا الخطاب مازال فاعلا، وتلاقي فرضياته قبولا عاما في المجتمع الأدبي، بسبب التلقين المدرسي لتاريخ الأدب الحديث**»[2]. فحتى نتمكّن من التّحرّر من الفكرة القائلة بأنّ الرّواية العربية تحمل جذورا أوروبية لا بد أن نتحلى بالفكر النّقدي الواعي،

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص111.

[2] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص577.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

لأنّ غياب المنظور النّقدي جعل من الأفكار الّتي جاء بها الفكر الاستعماري تنتشر على نطاق واسع وتبناها النّقاد العرب والأوروبيون على السواء، وقد«**حرصت الرواية الاستعمارية على جعل الشخصيات الروائية الغربية هي المهيمنة داخل العوالم المتخيلة التي ينجزها السرد، يجعل من الضرورة بمكان إظهار الشخصيات غير الغربية على خلفية الأحداث الأساسية، وعدم الاكتفاء باعتبارها محفزات سردية، يتطور في ضوء وجودها مسار الأحداث**»[1]. قدّم الاستعمار سردية شوّهت صورة الشّعوب الّتي احتلها وحرصت على جعل الشّخصيات الأوروبية في المركز في حين أهملت الشّخصيات العربية وهمّشتها باعتبارها لا تحمل هوية، تاريخ، وقيم، وبالتّالي ينبغي عليها الخضوع التّام للأنا وعليها السّير وفق الصّورة الّتي ترسم عليه. ومنه فقد نشأت الرّواية العربية نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل والمؤثّرات الّتي منحتها سمات جديدة، فالتّفاعل القائم بين التّراث السّردي العربي والاطلاع على الآداب الأوروبية دفع بالأدباء العرب إلى الانصراف عن الأنواع الأدبية التّقليدية، وهذا من أجل مواكبة تحولات العصر ورغبة منهم في ابتكار كتابة جديدة تختلف في مفهومها ونسقها عن الكتابة التّقليدية الّتي أصبحت مبتذلة ولا تلبي حاجيات المجتمع، كما إنّ«**معالجة الرواية بوصفها ثمرة لتداخل المرجعيات الثقافية والأنواع السردية، لن يخفض من قيمتها الإبداعية، ولن يحول دون النظر إليها على أنّها نص أدبي في المقام الأول. ولا يقصد من**

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص71.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

إبراز وظيفتها التمثيلية الانتهاء إلى أنها وثيقة تسجيلية، تعكس الواقع وتصوره بتفاصيله، إنما يراد بالتمثيل هنا الكيفية التي تقوم بها النصوص في إعادة إنتاج المرجعيات على وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي»[1]. فالفكرة القائلة بأنّ السّردية العربية هي الثّمرة الّتي نتجت عن التّفاعل بين التّراث الأدبي والتّأثّر بالأدب الأوروبي لا تنقص من أهمية هذا النّوع الأدبي الجديد بل إنّها تعبر فعلا عن الوضع الإبداعي العربي المعاصر والّذي يميل نحو الهجنة الفنية.

كما إنّ القول بأنّ الرّواية تقوم بتمثيل الواقع لا يعني أنّها تعكس الواقع بكل حيثياته وتفاصيله، وإنّما يقصد بهذه الفكرة تمثيل المرجعيات الفكرية والثّقافية الّتي ساهمت في صياغة هذا النّوع الأدبي من جهة والأنساق الّتي تتحكّم في إنتاجه وفي تحديد شروطه وقواعده وكيفية نظمه من جهة أخرى.

ثانيا: رواية زينب وريادتها للرواية العربية

لقد ظهرت مجموعة من الرّوايات الّتي ارتبطت خصوصياتها الفنية بالشّروط الأوروبية نذكر من بينها رواية زينب لمحمد حسين هيكل والّتي اعتبرت رائدة في مجال الرواية العربية وهذا بسبب تخلصها من أسلوب المقامة واحتوائها على الخصائص الفنية للرّواية، ويمكن الإشارة إلى أنّ هذه الرّواية كانت ثمرة تأثّر هيكل بالأدب الفرنسي، كما إنّ صورة الريف المصري تشبه الريف الأوروبي، فإخلاصه لوطنه ولبيئته جعله يصوّره بطريقة فنية مميّزة، ومن خصوصيات الأدب الفرنسي نجد السلاسة والسهولة في التّعبير والدقة في

[1] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي ، ص86.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

التّصوير، حيث يقول«**رأيت سلاسة و سهولة وسيلة، و رأيت مع هذا كله قصدا و دقة في التعبير و باطلة في العبارة لا تواتي إلاّ الذين يحبون ما يريد، التعبير عنه أكثر من حبهم ألفاظ عباراتهم و اختلط في نفسي ولعي بهذا الأدب الجديد عندي، بحنيني العظيم إلى وطني**»[1]. حيث أعلن هيكل عن إعجابه بالأدب الفرنسي وتأثره به ، إذن رواية زينب وليدة الحنين إلى الوطن والإفصاح عما في النفس .

تميزت هذه الرواية بالسلاسة والسهولة وتخلصت من السجع ومن أسلوب المقامة الذي كان شائعا من قبل و كان أسلوبها يتأرجح بين أسلوب الرواية وأسلوب المقالة، وتتخللها اللغة العامية فهي تجمع بين الخصوصية العربية والأوروبية، كما يمكن الإشارة إلى أنّها كانت ثمرة التمازج بين الفكر الأوروبي والعربي «**ورغم الطابع الرومانسي لرواية هيكل فقد تمكنت من نسج حبكة موفقة، كما أن صاحبها ضمنها مواقف نقدية، بطريقة مبطنة، للبنية الذكورية المهيمنة و دافع عن حق المرأة في التعليم و الحب والحياة. كما انتقد ظاهرة الحجاب و كل أشكال الحجر عن المرأة و قد استثمر طريقة الرسائل لتمرير أفكاره التي كانت تحمل أصداء الفكر النهضوي التحرر أندالك**»[2]. لقد اشتملت حبكة رواية زينب بالتّماسك، كما كانت تحمل في طياتها العديد من المواقف النّقدية من أجل إصلاح المجتمع، حيث سعت إلى

[1] يحي حقي، فجر القصة المصرية مع ست دراسات أخرى عن نفس المهام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1987، ص44 نقلا عن زينب، ص9.

[2] عبد المجيد الحسيب، الرواية العربية الجديدة، وإشكالية اللغة، ص24.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

تحرير المرأة والنّهوض بالفكر العربي والخروج من دائرة التحجر والتقوقع، وقد «**ثبت حقي جملة من التأكيدات، فهو يرى أنّ صاحب "زينب" شديد الصلة بمرجعيات الفكر الغربي الحديث، وأنّ روايته برهان على أنّ نشأة الرواية العربية اقترنت بالمؤثر الفرنسي، ودارت في فلكه**»[1]. تأثّر هيكل بالأدب الأوروبي وكتب هذه الرّواية نتيجة قراءته للعديد من الرّوايات الفرنسية واتخذت خصوصياتها الفنية من البنية الفنية للرّواية الأوروبية، ومن هنا أصبحت هذه الرّواية أوّل رواية عربية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجانب الشكلي اعتُمد كمعيار لتحديد فنية العمل الروائي، كما نجد أن طبيعة تلك المواضيع المعالجة كان لها الدّور الكبير في إعطاء الأولوية لظهور نوع أدبي على حساب الآخر، فرواية زينب عالجت قضية اجتماعية تخص المجتمع المصري، ومثل هذه المواضيع لم تكن سائدة من قبل. وبالرغم من أسبقية حكاية العشاق على رواية زينب إلاّ أنّ هذه الفكرة لم يتم تدعيمها من لدن النقاد و الباحثين، حيث أصبح كل ناقد يخدم تفسيره الخاص لنشأة الرّواية كل حسب طبيعة توجهه الفكري والثّقافي، وقد أصبحت الخصوصيات الفنية لرواية زينب نموذجا يحتذى به أثناء كتابة الرّواية. وعليه فـ«**الرواية العربية الحديثة هي إحدى الصيغ الأسلوبية الكبرى الّتي تشكلت على التخوم الثقافية الفاصلة بين عالمين: عالم في طريقه للأفول و التحلل، و عالم في طريقه للظهور و التكون. وسرعان ما**

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة الأبنية السردية والدلالية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ط1،2002، ص 58-59.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

دشنت شرعيتها السردية حينما ابرزت قدرة هائلة على التفاعل مع هذا العالم الجديد بمكوناته وعلاقاته، وقيمه، فاقترنت به من جهة كونها نتاج إحدى تمخضاته، ومن جهة كونها علامة معبرة عنه»[1]. لقد تمكنت الرّواية من التّفاعل مع متغيرات هذا العالم الحديث، ويمكن القول أنّها قامت نتيجة تلك التّحولات، كما ساهمت في التّعبير عنها وفق رؤية جديدة، فالآداب ما هي إلاّ إعادة صياغة وتركيب للأنواع الأدبية المتفكّكة. ولا يوجد نوع أدبي تشكل من عدم وإنّما كل نوع أدبي يمهد لظهور النّوع الّذي يليه هذه السّمة ليست مقتصرة على الآداب العربية فحسب، وإنّما تشمل الأدبين العربي والأوروبي، كما إنّ توظيف الرّواية للمرويات الأدبية السّابقة جعلها أكثر قدرة على تمثيل الواقع ورصد الأحداث بطريقة فنية مشوقة. فالرّواية الجديدة صنفت ضمن دائرة الرّواية غير الفنية ونظر إليها على أنّها تهتم بالجانب الأسطوري أكثر من الجانب الواقعي وتدرج الغريب في ثناياها وهذا العنصر يتماشى مع الطابع الأسطوري، وبالتّالي فهي لا ترقى بأن تدرج ضمن الفن الرّوائي ذلك أنّها لا تجدي نفعا على السّاحة الأدبية العربية هذا ما عرضها للانتقاد والاحتقار.

لقد أصبحت الرّواية العربية تحمل في طياتها العديد من الأنواع الأدبية الّتي ظهرت عبر أزمنة متفاوتة وفي«**الرواية العربية هناك مساهمات مهمة، عدا ما قدمه جورجي زيدان، ومنها ثلاثية نجيب محفوظ الفرعونية "رادوبيس" و"كفاح طيبة" و"عبث الأقدار" ثم أولاد حارتنا عن تاريخ**

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص7.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

الأديان، وهي مجرد رموز جبرية متقابلة بين الآلهة والأنبياء وأولاد الحارة! إلاّ أن الإسهام الأهم في هذا المجال روايات رضوى عاشور، ورواية "الزيني بركات" لجمال الغيطاني، عن زمن المماليك، وصخرة طانيوس و"سمرقند". وغيرها لأمين معلوف»[1]. ولما بزغ فن الرّواية في البلاد العربية ظهرت العديد من الجهود الإبداعية الّتي حظيت بعناية واسعة من قبل النقاد والباحثين، وقامت بمعالجة المواضيع الّتي تخدم المجتمع فهي مستوحاة من الواقع، حيث ظهرت أسماء روائية مهمّة في السّاحة الأدبية العربية أمثال نجيب محفوظ(1911-2006) الّذي نال جائزة نوبل للآداب وكان ذلك في مجال الرّواية، جمال الغيطاني(1945-2015)، رضوى عاشور(1946-2014)، أمين معلوف(1949)، وغيرهم من الرّوائيين العرب الّذين أبدعوا في مجال الرّواية ، وقد «**استند حقي في تفسيره لنشأة الرواية العربية إلى الموجهات الاستشراقية التي أشاعت بين الباحثين تصويرا يرى أنّ (العقلية العربية) قاصرة عن التركيب و التشخيص، و هي عقلية اندهاشية تجريدية غير قادرة على مخض الأشياء و اكتشاف عللها و عراها**»[2]. يساند يحيى حقي الرّأي القائل بأنّ الرّواية العربية امتداد للرّواية الأوروبية ذلك أنّ العقل العربي قاصر على الإبداع ولا يملك القدرة على تركيب الأحداث وتشخيصها وتحليلها، وبالتّالي لا يمكنه الغوص في أعماق النّصوص الأدبية واكتشاف أسرارها. وقد

[1] نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 2006، ص42

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص190.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

«عُدّ الطهطاوي من الممهدين الأوائل لعلاقة المثقفين العرب بالثقافة الغربية، وهو ضمن نخبة عرفت جوانب تلك الثقافة، فقد ذكر "الشدياق" في كتابة "الساق على الساق فيما هو الفارياق" الذي صدر بباريس عام 1855، أنّه اطّلع على الآثار الأدبية لـ"سويفت وبيرونوتيرنوشاتوبريان ورابليه ولامارتين»[1].اطّلع الطهطاوي(1216هـ 1290/1801هـ1873) على العديد من الأعمال الأدبية لكبار الأدباء الأوروبيين والتي كانت تمثل أرقى الأعمال الأدبية، فهي تمثّل الأدب الأوروبي وما يحمله من خصوصيات فنية جديدة ، وأصبحت فيما بعد نموذجا يحتذى به في عملية الكتابة الرّوائية، و« **لم يكن المؤثر الغربي ذا أثر عميق في نشأة الرواية العربية، فالسياق الثقافي العام لذلك المؤثر بولغ فيه بدرجة لا تخفى. ليس الهدف قطع الصلة بين السردين العربي والغربي في العصر الحديث، إنما تصحيح المسلمة السائدة التي تخطت عملية التفكك التي شهدتها المرويات السردية العربية القديمة ببطء، ولم تأخذ بالنظر تحولها إلى رصيد خام أعيد تشكيله ليكون أرضية انبثق عنها النوع السردي الجديد»**[2]. فالموجّه الأوروبي لم يكن له الأثر الكبير على نشأة الرّواية العربية وكان من الضّروري تصحيح الفكرة القائلة بأنّ الرّواية العربية قامت نتيجة تأثّرها بالرّواية الأوروبية، ذلك أنّ هذه الفكرة كانت إحدى نتائج الفكر الكولونيالي الّذي قام بترسيخها في السّاحة الأدبية

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري و عادة تفسير النشأة، ص121.

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، ص161.

المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

والنّقدية على السواء، ومن هنا يمكننا القول بأنّ الرّواية العربية قامت نتيجة تأثّرها بالموروث السّردي العربي وذلك من خلال تفكك المرويات السردية العربية وتحلل أبنيتها، حيث قامت الرّواية العربية بالمزج بين خصوصيات الأنواع الأدبية المختلفة وتمكّنت من تشكيل خصوصياتها الفنية واتّخذت شرعيتها في السّاحة الأدبية العربية. وعليه فقد تكونت الرّواية العربية إثر تداخل العديد من العوامل الدّاخلية والخارجية، فالأولى تمثّلت في التّراث الأدبي العربي واستعمال اللّغة الأصلية أمّا الخارجي فقد تمثل في الدّور الّذي قام به المحدّد النّقدي الأوروبي وما قام بترسيخه من أفكار في الساحة الأدبية العربية.

لقد كانت الرّواية العربية ثمرة التّمازج والتّفاعل بين الموجهين العربي والأوروبي، وعليه فإنّ تبعية الرّواية العربية للرّواية الأوروبية وقبولها لجميع الأفكار والصور الّتي رسمت حولها وغياب الوعي النّقدي جعلها مشحونة بروح التّقليد. فمبدأ عدم الاستقلالية في الأدب هو الّذي جعل الرّواية العربية تدور في فلك الرّواية الأوروبية، إضافة إلى أنّ ارتباط الرّواية العربية بالمرويات السّردية التّراثية هو الّذي جعلها أدبا منحطا ذلك أنّها لم تحمل سمات التّجديد في طياتها.

تمكن نجيب محفوظ من استرجاع مكانة الرّواية العربية في السّاحة الإبداعية العربية والعالمية وذلك من خلال نيله لجائزة نوبل للآداب، وقد تطوّر الفن الرّوائي على يد نجيب محفوظ وهذا راجع إلى انفتاح هذا الرّوائي على الآداب الأوروبية واطّلاعه على خصوصياتها الفنية خاصة فيما يتعلق الأمر

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

بالرواية ونظرا لتوسعه في العديد من الفنون الأدبية تمكّن من صياغة أعماله الروائية في قالب فني متميّز.

لقد ظل الفكر العربي يتبع ما يمليه المحدّد النّقدي الأوروبي والسّبب في ذلك راجع إلى غياب الوعي النّقدي، كما إنّ«**الوعي النقدي لا يفتح لنا مباشرة و بكيفية تولدية آلية باب الخلق والإيداع، لا يمثل بحد ذاته تجاوزا للعقل الغربي كما يظن بعض الأدعياء. هو شرط مسبق لازم، لكنه غير كاف. لا يكفي أن ننقد الرواية والواقعية البورجوازية لكي نبدع شكلا روائيا جديدا. الوعي النقدي انفتاح عن الممكن وليس إنجازا إبداعيا**»[1]. فالوعي النّقدي ساهم في كشف اللّثام عن خبايا الخطاب الكولونيالي وعن الأهداف المرجوة منه، لذلك فإنّ هذه الصفة لا تعني ظهور إبداع جديد بقدر ما تعني الكشف عمّا يخفيه ذلك الخطاب من أنساق.

كما تميّزت روايات صنع الله إبراهيم بالثّراء الفني وذلك من خلال مزجها بين ما هو جمالي وما هو واقعي، كما نجد رواية "مالك الحزين"(1981) لإبراهيم أصلان تمرّدت عن خصوصيات الرّواية التقليدية وذلك من خلال اعتمادها على تقنيات حديثة. وكان لرواية الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال الدّور الكبير في تحرير الفكر العربي من دائرة الركود والتبعية للآخر، حيث قامت ببناء خطاب سردي مفتوح على أبواب الفكر والحوار، ويدعو إلى مساءلة التّاريخ.

[1] محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دبي الثقافية، ط1، 2011، ص121.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :3 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/12/16، تاريخ القبول: 2020/02/19، تاريخ النشر: 2020/04/16

دخلت الشخصيات الروائية محيطها التاريخي والاجتماعي مطلع القرن التّاسع عشر بعد أن كانت الشخصيات متخيّلة وأسطورية والأماكن الّتي تتحرك فيها تتميّز بالطابع العجائبي تغيّرت القيم، وأصبحت الشّخصية حقيقية تعيش في عالم حقيقي ويضفي عليها الكاتب عنصر التخييل من أجل جعل الأحداث أكثر واقعية وأكثر تأثيرا في المتلقي.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ المحدّد النّقدي الأوروبي كان له الدّور الكبير في التّأريخ للرّواية العربية المعاصرة، إذ أنّه قام بنشر العديد من الأفكار والطروحات الّتي تبيّن أنّ العرب لم يعرفوا هذا النّوع الأدبي الجديد إلاّ بعد احتكاكهم بالأوروبيين واطّلاعهم على آدابهم، تلك الأفكار الّتي قامت بنفي كل الآداب الّتي شهدتها السّاحة الأدبية العربية من قبل، فكل ما لا يتوافق وطبيعة البنية الفنية للرّواية الأوروبية لا يدرج ضمن الرّواية، باعتبار أنّ خصوصياتها الفنية تعدّ نموذجا يحتذى به في كتابة الرّواية. لذلك اعتبرت الرّواية العربية متأخّرة في النشأة لأنّ بنيتها الفنية لم تكن مطابقة للرّواية الأوروبية.